فالشرق يؤلف جزءا متكاملا من المدنية المادية والحضارة الأوروبيتين . والاستشراق يعبر عن ذلك الجزء ويمثله حضارياً وحتى ايديولوجيا بوصفه أسلوباً أو صيغة للمحادثة والتخاطب مع ما يدعمه من مؤسسات وذخيرة لغوية وبحث اكاديمي وصور ومذاهب ، وحتى البيروقراطيات الاستعمارية والأساليب الاستعمارية . وبالمقابل ، فان الفهم الاميركي للشرق سوف يبدو أقل كثافة بشكل بارز ، رغم ان مغامراتنا الحديثة العهد في اليابان وكوريا والهند الصينية يتوجب عليها أن تخلق الآن وعياً « شرقياً »اكثر رزانة وواقعية.وعلاوة على ذلك ، فان الدور السياسي والاقتصادي الأميركي الذي اتسع نطاقه كثيراً في الشرق الأدنى (الشرق الأوسط) له كبير الحق في مطالبتنا بفهم لذلك الشرق .

سوف يتضح للقارئ (مثلما سوف يصبح الأمر أشد وضوحاً في صفحات الكتاب المتتالية) بأنني أعني بـ « الاستشراق » عدة أشياء ، وكلها في رأيي اشياء متواقفةومتداخلة. إن المعنى الأكثر قبولا على نحو مباشر لكلمة استشراق هو معنى أكاديمي ، وحقاً إن التسمية ما زالت تخدم الغرض في عدد من المؤسسات الاكاديمية.فكل امرئ يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو يبحث فيه ـ وهذا ينطبق على ما إذا كان الشخص عالم للانثروبولوجيا أو عالما للاجتماع أو مؤرخا أو لغويا ـ سواء كان ذلك من النواحي الخاصة أو العامة للشرق ، **هو مستشرق** . وما يفعله هذا الشخص هو استشراق ومن الصحيح ان لفظة « استشراق » لدى مقارنتها بلفظتي « الدراسات الشرقية » أو « دراسات المنطقة » تلقى تحبيذاً أو تفضيلا أقل من جانب المختصين اليوم ، ويرجع ذلك لسببين اثنين : أولاهما ، لأنها لفظة غامضة جداً ومغرقة في العمومية ، وثانيهما ، لكونها تدل على الموقف التنفيذي الاستعلائي المنبثق عن الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . ومع ذلك يجري تأليف الكتب وعقد المؤتمرات التي تتناول « الشرق » كموضوع رئيسي للتركيز ، حيث يصبح المستشرق بمثابة الثقة الرئيسية لهذه المؤتمرات وتلك الكتب ، سواء كان هذا المستشرق في زية القديم أم الجديد . والنقطة التي نتوخى الوصول إليها هي ان الاستشراق ، رغم كونه ليس على قيد البقاء كما كان شأنه في الماضي ، فانه لا يزال مستمراً على قيد الحياة الأكاديمية من خلال مذاهبه وطروحاته عن الشرق والانسان الشرقي .

ثمة معنى أعم للاستشراق ، يتصل بهذا التقليد الأكاديمي ، حيث تؤلف حظوظ هذا التقليد وتناسخاته وتخصصاته وانتقالاته على نحو جزئي موضوع هذه الدراسة.فالاستشراق هنا يعني اسلوبا في التفكير يرتكز إلى التمييز الانطولوجي والمعرفي بين « الشرق » و« الغرب » (في معظم الوقت) (بمعنى Occident) . وهكذا نجد كتلة كبيرة من الكتاب تضم بين صفوفها الشعراء والروائيين والفلاسفة والمنظرين السياسيين وعلماء الاقتصاد والاداريين الامبرياليين، ممن قبلوا التمييز الأساسي بين **الشرق والغرب** باعتبارهما نقطة البداية لنظريات مفصلة . وملاحم مستفيضة وروايات وأوصاف اجتماعية وتقارير سرد سياسي تتعلق بالشرق وشعوبه وعاداته و « عقله » ومصيره وهلم جرا . ويمكن لهذا النمط من الاستشراق ان يستوعب اسخيلوس مثلا . إلى جانب فيكتور هوغو ودانتي وكارل ماركس . وفي مكان لاحق من هذه المقدمة سوف نتناول المشكلات النهجية التي يلاقيها الباحث في « حقل » مثل هذا الحقل الذي جرى توسيع نطاقه بصورة مفتعلة .

والتقاطع بين المعنى الأكاديمي والمعنى المتخيل نوعاً ما للاستشراق هو تقاطع ثابت ،